عودة إلى السنة

أبحاث جمعها وعلق عليها
علي حسن علي عبد الحميد

راجعها وقدم لها فضيلة الشيخ
محمد إبراهيم شقرة

المكتبة الإسلامية
عمان-الأردن

الطبعة الأولى
1404ه

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
1984/8/371

الجبيهة-ص.(113)المكتبة الإسلامية تلفون:842887
عمان-الأردن

H eT&

العلم ميراث النبي كذا أتى..في النص والعلماء هم وراثه
ما ورث المختار غير حديثه..فينا فذاك متاعه وأثاثه

فلنا الحديث وراثة نبوية...ولكل محدث بدعة إحداثه

الإمام محمد بن إبراهيم الوزير
المتوفى سنة (840هـ)رحمه الله

ﷲ ﷺ ﷻ

مقدمة فضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقرة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا , ومن سيئات أعمالنا ,من يهده الله فلا مضل له,ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:
فإن العلم هو المرقاة الصاعدة بأهلها إلى سماء المجد, والنور الباسط أجنحته فوق آفاق الدهر ,والعروة الوثقى التي لا يضل من استمسك بها .
وحينما يعود المرء بذاكرته إلى الوراء,فيستحضر العقول التي خلدها تاريخ العلم , والأقلام التي سطرت بمدادها في سجله أروع آيات الحكمة,والصحائف التي حفظت-بأمانة وصدق- نتاج تلك العقول والأقلام,يكاد يقول في نفسه:
إنها أمجاد طويت من أمجاد هذه الأمة,ثم يلتفت إلى حاضره,فيرى شبابا أحاطت بهم سمات الهدى,وانتقلوا بعقولهم من هذا الحاضر إلى الماضي فعاشوا مع تلك الأقلام والعقول,فسمعوا صريرها,وفهموا عنها حكمتها ,ورأوها

وهي تدأب في حركتها وتفكيرها فوق تلك الصحائف,فأخذتهم نشوة دونها كل نشوة ,وحبسوا أنفسهم علي تلك الأقلام والعقول ,ينظرون فيما سطرت وألهمت ,حتى أوقروا عقولهم بعلم من علمها, من غير أن يجلسوا على مقاعد الجامعات والمعاهد العليا,ثم عادوا بأوقارهم إلى حاضرهم ,وأخذوا سمت أصحاب تلك العقول والأقلام في أسلوب التخاطب والحديث,وفي نمط الكتابة

وفنونها,وفي الزي وطريقة العيش,فأعادوا للأذهان صور أولئك العلماء الذين خلفوا لنا ذلك التراث الضخم من المعارف الإسلامية والعربية فأوفت بالأمة في كل زمان على مشارف السؤدد الحضاري. وسقطت أقنعة عن وجوه أناس كانوا يحسبون عند هؤلاء الشباب من جلت أهل العلم ,فرأوها باديت الصفرة تضطرب على صفحتها ذبالات أفناها الغرور وأماتها الجهل الفاضح,وعرى هذه الوجوه هم ثقيل جدا أن وجد على أرض المسلمين اليوم نفر أعادوا إليها شيئا من سيرة العلماء السابقين أهبطهم في أعين هؤلاء النفر إلى درجات التلامذة المبتدئين الصغار في كل علم من العلوم التي مجدت العقل ومجدها العقل

ولم يكتفي هؤلاء النفر بما صنعوا,بل إنهم رفعوا نفرا عرفوا لهم قدرهم في العلم,وعظموهم في نفوسهم-كما كان طلاب العلم في الماضي يعظمون مشايخهم-فما كان من هؤلاء الذين اهبطوا إلا أن أخذوا يريشون سهام الحقد ويستترون بالجدر ,ليرموا بها ظهور هذا النفر,ظنا منهم أن سهامهم هذه سوف تردي هؤلاء النفر.
فارتدت سهامهم إلى صدورهم,فكبكبوا هم ومن شايعهم من صناع الجهل في خبال الباطل,وصاروا

إلى حال من السوء الفاضح أخجلهم حتى هم من أنفسهم.
ولم تنتقع لهؤلاء الحاسدين الحاقدين غلة إلا من دماء هؤلاء النفر,ولم يشتف لهم غيظ إلا من أعراضهم,ثم أخذوا-في غير ورع ولا خوف من الله-يوغرون الصدور عليهم,ويغرون السفهاء بهم,ويقولون بألسنتهم الكاذبة ما ليس فيهم,وظنوا أنهم بالغون منهم ما يخفف من غيظ صدورهم,أو يطفئ شيئًا من غلتهم.
وما كان العلم يوما ترتاد أطرافه بمثل هذا,فالعلم لا يرتاد إلا على
الإخلاص,والتجرد,والنصب,والقلة,وضيق العيش,والأقلام النزيهة,والتواصل المعطاء,والمودة الصادقة.
ولقد نظرت فرأيت الأخ "علي بن حسن" يرتاد أطراف العلم على مثل تلك-إن شاء الله-ورأيت فيه وفي أمثاله من الشباب طليعة لجيل جديد يعيد للذهن مجد من سلف من طلاب العلم-تلقوا علمهم على أيدي علماء-عرفهم الناس بقية راشدة لعلماء السلف الصالح في وفرة العلم,وحذق الرأي,وصدق التوجه والعزم,والصلابة في الحق,والجرأة في الدفاع عن الكتاب والسنة.
وهذه الرسالة القيمة التي أقدم لها اليوم لدليل واضح على ما أقول-إن شاء الله-والقارئ الجاد النزيه هو الذي يقبل حكمه فيها,ولا أحسب إلا أن مهازيل

الفكر,وأدعياء العلم سيرون في هذه الرسالة ما يدعوهم إلى جمجمة الأهواء فيقولون في هؤلاء الشباب ما اعتادوا أن يقولوه-حسدا وكبرا-ناسين أن الله سيحاسبهم يوما على ما يقولون ويفعلون.
وأدع للقارئ أن يمضي مع الرسالة في شوطها المبارك سائلا المولى سبحانه أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.
وأن يجزي الأخ"علي بن حسن"خيرا على ما أنفق من جهد فيها.

وإلى الله ترجع الأمور

عمان –الأردن
في غرة رمضان المبارك 1404ه

وكتب
محمد إبرهيم شقرة

H er&

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا , ومن سيئات أعمالنا ,من يهده الله فلا مضل له,ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإنه لا يماري أحد في سوء حال المسلمين اليوم,وانحرافهم عن دينهم,وشدة غربة الإسلام بينهم ,وبخاصة وقد مدت البدع[1]أعناقها,ولبس علماء السوء على العوام

حقائق دينهم,وسكت كثير ممن يعلمون الحق عن إبلاغه الخلق ,وانهمك الناس في الدنيا,واتخذوا دينهم لهوا ولعبا,وتكالب([2]) الأعداء في داخل بلاد المسلمين وخارجها ليجهزوا([3])على هذا الدين العظيم,ولكن { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[التوبة:32]

---

[1])مفردها بدعة,وهي باللغة بمعنى الشيء المخترع على غير مثال سابق,كما في"لسان العرب"(7/7) و"القاموس المحيط"(4.3/3) ومعناها في الإصطلاح:الطريقة المخترعة في الدين التي تشابه الشريعة,يقصد بها التقرب إلى الله,ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح أصلا أو وصفا,وانظر"الاعتصام"(37/1)للإمام الشاطبي,والبدع في الدين كلها ضلال كما صح الأثر عن النبيوصحبه الكرام. وانظر تفصيل ذلك في"اقتضاء الصراط المستقيم"(275-277)لشيخ الإسلام ابن تيمية,وللأخ الأستاذ سليم الهلالي رسالة"البدعة وأثرها السيئ في الأمة" نشر المكتبة الإسلامية فلتنظر,وراجع رسالة"المصابيح في صلاة التراويح"(44-41) للسيوطي بتحقيقي يسر الله نشرها.

[2] أي :تجاهروا بالعداوة.

[3] ليسرعوا في القضاء عليه ومحو أثره.

وقد أخبر رسول اللهρعن غربة الإسلام التي ألمت بنا في قوله:"بدء الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء"([4]).

وقالρ:"لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة,فكلما انتقضت عروة,تشبث الناس بالتي تليها,فأولهن نقضا,الحكم([5])وآخرهن الصلاة"([6]).

وقال ρ:"لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه,حتى تلقوا ربكم"([7]).

ومهما بلغت غربة الإسلام في زماننا,فنحن على يقين أن الله مظهر دينه,ومنجز وعده الذي وعد في قوله:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

---

[4] صح عن غير واحد من الصحابة,وانظر"صحيح الجامع الصغير"(1576)و(1577).

[5] أي تحكيم الشريعة في المحاكم والأقضية وشؤون المسلمين,وانظر شرح الحديث في "فيض القدير"(263/5).

[6] رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة."صحيح الجامع"(4951).

[7] رواه البخاري وغيره عن أنس."صحيح الجامع"(7452),وهو نص عام خصصه قوله ρ:"مثل أمتي مثل المطر,لا يدرى أوله خير أم آخره" "صحيح الجامع"(5730)و"فيض القدير"(516/5).

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
}[التوبة:33]
وقد قال تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
}[الشورى:28]

وقال سبحانه:{ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}[يوسف:87].
واعلم أخي المسلم-فقهني الله وإياك-أن ربنا جل وعلى لم يتركنا هملا ,بل تفضل علينا بهذا القرآن المجيد,وضمن لنا حفظه من التبديل والتحريف,وقال في شأنه:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[الإسراء:82]
فما المخرج مما نحن فيه من فتنة وضياع وفرقة وانحراف عن الإسلام!؟
قال تعالى:{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}[الحديد:16]
وقال عز وجل:{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[الرعد:11]
وقال تبارك وتعالى:{ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}[محمد:7]

فإن نحن صدقنا في إيماننا ورجوعنا إلى الله عز شأنه فلا بد أن نعرف ما يخالف دين الله تعالى من سائر أحوالنا,ونجتهد في تغييره إلى ما يرضيه سبحانه وتعالى عنا.

وهناك حقائق لا بد أن نفهمها:

●أن السلوك مرآة الفهم,فكلما صفت هذه المرآة من الشوائب والكدر وتربت الأجيال عليها,كان العلاج أنجع والشفاء أقرب.

●أن العلم هو الفرقان الذي يميز الخبيث من الطيب, الحق من الباطل,والداعية الجاهل ضال في نفسه,مضل لغيره,ضرره أكثر من نفعه,وما يفسده أعظم مما يصلحه,فالعلم شرط في الداعية.

●أن العلم النافع هو الذي يصحح الفكر ويصقله,والفكر إذا صح ظهر ذلك في السلوك القويم, والعلم والتعليم.

●أن أصحاب الدعوات الإسلامية لن يستطيعوا القيام على أقدامهم إلا إذا تسلحوا بالإخلاص والعلم والعمل والإلتزام الفعلي بما يمليه عليهم هذا العلم من تغير في أفراد دعواتهم ونظمها وأفكارها,ثم الدعوة إليه في ضوء "فقه الدعوة" المستنبط من الأدلة والقواعد الشرعية,لا من مجرد التجارب الشخصية والنزعات العقلية.

●أن توحيد الفهم هو أول خطوات توحيد الصف المسلم وأنفعها,ولن يتصور فكر وفهم أصح وأقوم من فهم الصحابة رضي الله عنهم,ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين الذي حمله الثقات العدول,وحفظ في دواوين الإسلام حجة لله على خلقه,وما زال بين أيدينا محفوظا لننهل من معينه الصافي متى شئنا,ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

●أنه متى تجانست الأفكار والغايات والسبل,وجدت ثمرة المحبة والمودة التي هي أعظم أسباب وحدة الصف.

إذا عرفت ذلك-أخي المسلم-وأيقنت به,فاعلم أن هذه الرسالة التي بين يديك,هي محاولة عملية من كاتبها وناشرها والمقدم لها لتوحيد الصف الإسلامي على منهج شامل وثيق,كخطوت أولى لتوحيد الفكر الإسلامي على فهم السلف الصالح للكتاب والسنة[8] .

ونواة هذه الرسالة كلمة للإمام الشوكاني[9] رحمه الله,موجودة بطولها في كتابه المستطاب"البدر الطالع

---

8 بتصرف من"منهج الدعوة الإسلامية"(7-3)نشر دار ابن تيمية.

9 هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله,فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن,ولد سنة(1173ه),وصنف مصنفات عدة طبع عدد منها ,توفي رحمه الله سنة(1250ه),ترجمته في "التاج المكلل"(305-317)و"الرسالة المستطرفة"(114)و"هدية العارفين"(365/2)و"الأعلام"(298/6).

بمحاسن من بعد القرن السابع"[10],في أثناء ترجمته[11]للإمام العلامة الكبير محمد بن إبراهيم الوزير[12],وكنت قد طالعتها وأمعنت النظر فيها,وكشفت عن خوافيها,فرأيت كلامه هناك منهاجا ميسرا لطيفا شبه متكامل لما يجب على طالب العلم معرفته,وما هو موقفه في خضم الاجتهاد والتقليد؟والعامي,ماذا يفعل؟وما هي العلوم التي يجب على المتبع والمجتهد تعلمها؟,وغير ذلك من مباحث مفيدة تقوي صلة المسلم بكتاب ربه سبحانه,وسنة نبيهρ (12/أ)

---

[10] ويقع في مجلدين,وقد طبع في مصر سنة 1348ه.

[11] في(2/89-81)منه,وقد ذكرها استطرادا.

[12] اليماني,ولد سنة(775ه),له مؤلفات عدة,أشهرها وأعظمها"العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم"يقع في أربع مجلدات=

= **خطية,وقد شاركت الأستاذ الفاضل شعيبا الأرناؤوط في تحقيق الجزء الأول منه,ولا يزال تحت الطبع يسر الله إتمامه وهو كتاب عظيم في تقرير مسائل الاجتهاد والتقليد,وتطرق فيه لمسائل كثيرة في العقيدة أيضا,أكثر الشوكاني في"البدر"من مدحه والثناء عليه,توفي رحمه الله سنة(840ه) ترجمته في"التاج المكلل"(340)و"أبجد العلوم"(3/190)و"الضوء اللامع"(6/272)و"فهرس الفهارس"(2/1124).**

(12/أ)ولست الأول في معرفة تلك الكلمة المشار إليها,فقد تنبه لهذه القطعة الرائعة من كلام الإمام الشوكاني رحمه الله,غير واحد من أهل العلم,ونوهوا بذكرها,وأشادوا بها,منهم الأستاذ عبدالله محمد الحبشي في تقديمه لكتاب"أدب الطلب-طبع اليمن"(ص12)والدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري في كتابه"الإمام الشوكاني مفسرا"(ص305)وغيرهما.

وجمعني مجلس-ذات مرة-مع بعض إخواني من طلبة العلم,فخطر لي أن أقرأ على هؤلاء الجالسين هذه القطعة الطيبة من كلام الإمام الشوكاني رحمه الله,وفعلت فنالت إعجاب الحاضرين كلهم,وأجمعوا أمرهم بينهم على طباعتها-بعد التحقيق والتعليق-وتوزيعها على طلبة العلم,ونشرها
بين المسلمين جميعا,حتى يعم نفعها,ويستفيد منها طلبة العلم من أبناء هذه الأمة.
فشحذت الهمة لتحقيق هذه المهمة, سائلا الله العلي الأعلى أن يوفقني في عملي, ويسدد خطاي .

وقد علقت عليها تعليقات كثيرة,مختصرة أحيانا,وموسعة أحيانا آخرى.وخلاصة التعليقات إما توضيح لمبهم,وإما ترجمة لعلم من الأعلام,أو ما يشبه ذلك,وقد أطلت التعليقات أحيانا,كي يكون القارئ عارفا بكثير من الاصطلاحات التي يستعملها العلماء في كتبهم.

ثم إنني أضفت عقيب رسالة الشوكاني,مباحث لا تقل عنها أهمية لطلبة العلم في أيامنا هذه,علهم يستفيدون

منها,وينتفعون بها,وسميت هذه المباحث كلها "عودة إلى السنة" (**).

وأخيرا:
فإنني أقدم هذه الرسالة آملا أن يكون لها صدىً وأثر في

صفوف الدعاة إلى الله تعالى,لنحمل-بثبات-أمانة ديننا,ونفوز-بإذن الله-بجنة ربنا,وقد قال جل وعلا: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة:2].
وقد تفضل أستاذنا الشيخ أبو مالك محمد إبراهيم شقرة حفظه الله بمراجعة الكتاب والتقديم له,فجزاه الله خيرا.
والحمد لله رب العالمين,وصلى الله وسلم وبارك على رسوله وآله وصحبه أجمعين.

وكتب:
أبو الحارث علي حسن علي عبد الحميد

(**)ولي سلف في هذه التسمية,فقد نشر أستاذنا الألباني حفظه الله عدة مقالات هذا عنوانها في مجلة "المسلمون"الدمشقية,فاستأذنته في أن أقتبس عنوان هذه المقالات لما فيه من بشرى وتفاؤل,فأذن لي,جزاه الله خيرا.

[

((1))
مع الإمام الشوكاني رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

[أحمدك لا أحصي ثناء عليك,أنت كما أثنيت على نفسك,وأصلي وأسلم على رسولك وآله,وأسألك التثبيت والهداية,وأعوذ بك من الخذلان والغواية][*].

وبعد:
فلا ريب[13/أ]أن علماء الطوائف[13]لا يكثرون العناية بأهل هذه الديار[14] لاعتقادهم في الزيدية[15] ما لا

---

[*] مقدمة الشوكاني رحمه الله لكتاب"أدب الطلب ومنتهى الأدب".

[13/أ] ذكر الشوكاني رحمه الله هذا الكلام بعد ما أورد الكلام المقتضب الذي ذكره العلماء الذين ترجموا للإمام محمد بن إبراهيم الوزير,ثم علل قصورهم في ترجمته بأنهم لم يعرفوا ابن الوزير معرفة واضحة

مقتضى له إلا مجرد التقليد[16]لمن لم يطلع على الأحوال ,فإن في ديار الزيدية من أئمة الكتاب والسنة عدداً يجاوز الوصف,يتقيدون بالعمل بنصوص الأدلة[17] ويعتمدون على ما صحّ[18] في الأمهات الحديثية[19]وما يلحق بها من

حقيقية,ولم يقفوا على مصنفاته الفذة,بل قال:"ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحر في العلوم لأطال عنان قلمه في الثناء عليه,فإنه يثني على من هو دونه بمراحل ولعلها لم تبلغ أخباره إليه".

13 مفردها طائفة,وهي الجماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به,ومراد الإمام الشوكاني هنا متبعوا الإمام الأربعة.

14 اليمنية.

15 نسبة لزيد بن علي,المتوفى سنة(122ه)ترجمته في"الأعلام"(59/3),والزيدية من طوائف الشيعة القريبة من أهل السنة,وانظر"مشكاة=

=الآراء والمذاهب والفرق الكلامية"(122-116)ليحيى هاشم حسن فرغل,و"الملل والنحل"للشهرستاني(210/1-207)على هامش"الفصل"لابن حزم.

16 يقال:قلد فلان فلانا,أي:اتبعه فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولا دليل."المعجم الوسيط"(760/2)وانظر في حكم التقليد:"الموافقات" (293/4) و"الروض الباسم"(36/1) و"إرشاد الفحول" (234).

17 مفردها:دليل,وهو في اللغة بمعنى الهادي إلى أي شيئ حسي أو معنوي,وفي الإصطلاح:ما يستدل بالنظر الصحيح فيه على حكم شرعي انظر"أصول الفقه"(20) للشيخ عبد الوهاب خلاف.

18 فيه احتراز عما لم يصحَ,وانظر ما كتبه أستاذنا العلامة الألباني في"صحيح الترغيب والترهيب"(36/1-15) و"صحيح الجامع الصغير"(51/1-43).

19 كالصحيحين والسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد وغيرها.

دواوين[20]الإسلام المشتملة على سنة سيد الأنام,ولا يرفعون إلى التقليد رأسا,ولا يشوبون[21] بشيئ من

البدع التي لايخلو أهل مذهب من المذاهب من شيئ منها. بل هم[22]على نمط السلف الصالح[23]في العمل بما يدل عليه كتاب الله,وما صحّ من سنة رسول اللهρ مع كثرة اشتغالهم بالعلوم التي هي آلات[24] علم الكتاب والسنة,من نحو, وصرف,وبيان,وأصول,ولغة[25]وعدم إخلالهم بما عدا ذلك من العلوم العقلية[26].

---

20 أي:كتب,كمعاجم الطبراني الثلاثة,ومسند البزار,والحميدي,وعبد بن حميد,وأبي يعلى,وغير ذلك,وانظر"الرسالة المستطرفة"(16-20)و(29-25).

21 يخلطون.

22 أي:الزيدية.

23 أي على طريقة أهل القرون الثلاثة التي شهد لها رسول الله ε بالخيرية,بقوله:"خير الناس قرني,ثم الذين يلونهم,ثم الذين يلونهم...."وانظر"صحيح الجامع الصغير"(3288) و(3289) و(3290),وانظر رسالتي"نحو منهج السلف" ففيها تفصيل لطيف.

24 أي الأدوات والعلوم اللازمة,وسميت بذلك لأن هذه المعارف كالآلة التي بها يحصل الشئ,ومن لم يحكم الآلة والأداة لم يصل إلى تمام مراده,وانظر لزاما "تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد" (38) للسيوطي.

25 علم النحو:هو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقما, وعلم الصرف:هو علم بأصول تعرف بها أحوال صيغة الكلمة ووزنها وهيئتها,وعلم البيان:هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد

ولو لم يكن لهم من المزية([27])إلا التقيد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد,فإن هذه خصيصة خصَّ الله بها أهل هذه الديار([28]) في هذه الأزمنة الأخيرة,ولا توجد في غيرهم إلا نادرا([29]).

ولا ريب أن في سائر الديار المصرية والشامية من العلماء الكبار([30])من لا يبلغ غالب أهل ديارنا هذه إلى رتبته,ولكنهم لا يفارقون التقليد الذي هو دأب من لا يعقل حجج الله ورسوله,ومن لم يفارق التقليد لم يكن لعلمه كثير فائدة,وإن وجد منهم من يعمل بالأدلة ويدع

بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه, وعلم اللغة:هو علم باحث عن مدلولات حقيقة المفردات وهيئاتها,وغايته الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية,والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب. انظر"أبجد العلوم"(469,129,345,560/2).

[26] وهي التي جل اعتمادها على العقل,وانظر لزاما"إرشاد الفحول"(252) و"مقدمة ابن خلدون"(478-481).

[27] وهي الفضيلة التي يمتاز بها الشيء على غيره.

[28] أي:اليمنية,كما تقدم.

[29] فقد كان التقليد شائعا في غالب البلاد الآخرى,وانظر تفصيل الحالة الدينية في اليمن أيام الشوكاني في كتاب"الإمام الشوكاني مفسرا"(40-53) للدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري.

[30] ممن مضى منهم,وليس في عصر الشوكاني رحمه الله,بدليل كلامه في آخر هذه الفقرة عند ذكره ابن تيمية رحمه الله.

التعويل([31])على التقليد فهو القليل النادر كابن تيمية وأمثاله([32]).

وإني لأكثر التعجب من جماعة من أكابر العلماء المتأخرين,الموجودين في القرن الرابع وما بعده, كيف يقفون على تقليد عالم من العلماء ويقدمونه على كتاب الله وسنة رسوله!! مع كونهم قد عرفوا من علم اللسان([33]) ما يكفي في فهم الكتاب والسنة بعضه,فإن الرجل إذا عرف من لغة العرب ما يكون به فاهما لما يسمعه منها, صار كأحد الصحابة ([34]) الذين كانوا في زمنه ρ.

---

[31] أي: الاعتماد عليه والاتكال.

[32] **هو شيخ الإسلام العالم العلامة أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام,الحراني الدمشقي,صاحب المصنفات الشهيرة,وأحد كبار مجتهدي عصره,توفي رحمه الله سنة(728ه) ترجمه الشوكاني في "البدر الطالع"(63/1) و أطال في مدحه والثناء عليه, وله ترجمة في"تذكرة الحفاظ"(1496/4) و=**
="الدرر الكامنة"(154/1) و"طبقات المفسرين"(45/1) و"النجوم الزاهرة"(271/9) ومن تلاميذه كالإمام ابن قيم الجوزية والحافظ ابن كثير ومؤرخ الإسلام الذهبي وغيرهم,رحمهم الله جميعا.

[33] **أي:العربية وعلومها.**

[34] أوضح الشوكاني رحمه الله ذلك في "إرشاد الفحول" (250-249) ,فقال:فها هنا واسطة بين الاجتهاد والتقليد وهي سؤال الجاهل للعالم عن الشرع فيما يعرض له,لا عن رأيه البحت واجتهاده المحض,وعلى هذا كان عمل المقصرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم.وانظر "بدعة التعصب المذهبي"(93-90) للأستاذ محمد عيد عباسي فرج الله عنه, و"قواعد التحديث" (98-96)للعلامة القاسمي رحمه الله.

ومن صار كذلك,وجب عليه التمسك بما جاء به رسول الله p, وترك التعويل على محض الآراء([35]),فكيف

بمن وقف على دقائق اللغة إفرادا وتركيبا,وإعرابا وبناء([36])!! وصار في الدقائق النحوية والصرفية والأسرار البيانية والحقائق الأصولية([37])بمقام لا يخفى عليه من لسان العرب خافية ولا يشذُّ منها شاذة ولا فاذة ,([38]) وصار عارفا بما صحّ من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى زمنه,وأتعب نفسه([39])في سماع دواوين السنة التي صنفتها أئمة هذا الشأن في قديم الأزمان وفيما بعده,فمن كان بهذه المثابة([40]), كيف يسوغ ([41]) له أن

---

[35] مفردها رأي ,وهو القول المجرد عن الدليل,وانظر "حجة الله البالغة"(152-147)للشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله.

[36] هي من مسائل العربية.

[37] أي من أصول الفقه, وهو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية اليقينية,انظر "مفتاح السعادة" (183/2).

[38] يقال كلمة فاذة,أي غير متسقة في سياقها.

[39] هذا لمن أكثر من الرواية والسماع وتحصيل الشيوخ دون منهج دقيق يسير عليه في طريق الاجتهاد,فيظل مقلدا حتى يحين موته.

[40] الحالة.

يعدل عن آية صريحة أو حديث صحيح إلى رأي رآه أحد المجتهدين([42])؟!

حتى كأنه أحد العوام الأعتام([43]) الذين لا يعرفون من رسوم الشريعة رسما.

---

[41] يجوز.

[42] الاجتهاد:هو استفراغ الوسع والجهد في معرفة الأحكام و استنباطها من الأدلة الشرعية على وجه يحس المجتهد فيه من نفسه العجز عن طلب المزيد عليه,انظر"إرشاد الفحول" (249) و"المستصفى"(362/2)و"شرح تنقيح الفصول" (429)=

=وقد ثبت عن الأئمة المجتهدين عامة والأئمة الأربعة منهم خاصة النهي الشديد عن تقليدهم وإيثار قولهم على الكتاب والسنة,من ذلك:

أ: قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله:إذا قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول ρ فاتركوا قولي. "إيقاظ الهمم" (ص50).

ب: قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله:إنما أنا بشر أخطئ وأصيب, فانظروا في رأيي, فكل ما وافق الكتاب والسنة,فخذوه,وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه."جامع بيان العلم وفضله" (32/2).

ج: قول الإمام الشافعي رحمه الله: كل ما قلت,وكان عن النبي ρ خلاف قولي مما يصح, فحديث النبي ρ أولى,ولا تقلدوني. "حلية الأولياء"(106-107/9).

د: قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء, ما جاء عن النبي ρ فخذ به,ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير. "مسائل الإمام أحمد" برواية أبي داود(277).

فيا لله العجب إذا كانت نهاية العالم كبدايته, وآخر أمره كأوله,فقل لي:أي فائدة لتضييع الأوقات في المعارف العلمية؟! فإن قول إمامه الذي يقلده هو, كان يفهمه قبل

أن يشتغل بشيء من العلوم سواه,كما نشاهده في المقتصرين على علم الفقه([44]) ,فإنهم يفهمونه,بل يصيرون فيه من التحقيق إلى غاية لا يخفى عليه منه شيء,ويدرسون فيه, ويفتون به,وهم لا يعرفون سواه بل لا يميزون بين الفاعل والمفعول([45]).

وغبر ذلك كثير من الأقوال العزيزة عنهم وعن غيرهم رحمهم الله, وانظر المقدمة الرائعة التي كتبها أستاذنا الألباني في كتابه المستطاب"صفة صلا النبي ρ"(21-51)الطبعة الحادية عشرة.

43 هم المتأخرون في طلب العلم,البطيئون في تحصيله.

44 هو علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية. كذا في"مفتاح السعادة" (194/2) وانظر"أبجد العلوم"(400/2) و"كشف الظنون"(1280/2).

45 يريد الشوكاني رحمه الله أن الذين يقصرون أنفسهم على طلب علم الفقه وحده, دون تعلم العلوم الأخرى, لا يفهمون غير ذلك, حتى إنهم لا يستطيعون التفرقة بين أسهل مسائل العربية والنحو كالفاعل والمفعول, وهو ما يعرفه صغار الطلبة وآحادهم.

والذي أدين الله به([46]) أنه لا رخصة لمن علم من لغة العرب ما يفهم به كتاب الله, بعد أن يقيم([47]) لسانه بشيء من علم النحو والصرف وشطر([48]) من مهمات كليات أصول الفقه, في ترك العمل([49]) بما يفهمه من آيات الكتاب العزيز,ثم إذا انضم إلى ذلك الاطلاع على كتب السنة المطهرة التي جمعها الأئمة المعتبرون([50/أ]) ,وعمل بها المتقدمون والمتأخرون, كالصحيحين ([50]) ,وما يلتحق بهما مما

---

[46] أي: الذي أعتقده, وأتعبد الله بفهمه,

[47] أي: يعدله ويزيل اعوجاجه.

[48] جزء منه.

[49] خبر"لا" النافية للجنس, مراده: أنه لا رخصة لمن عرف شيئا من العلوم المذكورة أن يترك العمل بالكتاب والسنة, وأن يظل مستمرا في التقليد واتباع آراء الرجال.

[50/أ] كذا قال,وهو خطأ شائع أشار إليه الأستاذ محمد العدناني في "معجمه"(162) والصواب:"المعتد بهم". وسيكررها المصنف فلا داعي لتكرار التنبيه عليها.

[50] أولهما: صحيح الإمام البخاري, وهو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم,المتوفى سنة(256) ترجمته في"تذكرة الحفاظ" (555/2). وصحيحه هو أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه, كما هو قول جمهور أهل العلم, وانظر الدراسة الموسعة التي قام بها العلامة صديق حسن خان في كتاب"الحطة في ذكر الصحاح الستة" (228-191) بتحقيقي.

وثانيهما: صحيح الإمام مسلم,وهو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري,المتوفى سنة(261ه,) ترجمته في"تهذيب الأسماء واللغات"(89/2), وصحيحه يقع في المرتبة الثانية بعد كتاب الإمام

التزم فيه مصنفوه الصحة[51] .أو جمعوا فيه بين الصحيح وغيره [52] ,

مع البيان لما هو صحيح, ولما هو حسن, ولما هو ضعيف[53] , وجب العمل بما كان كذلك من السنة, ولا يحل التمسك بما يخالفه من الرأي[54] سواء كان قائله واحدا أو جماعة أو الجمهور[55] , فلم يأت في هذه الشريعة الغراء ما يدل على وجوب التمسك بالآراء المتجردة عن معارضة الكتاب أو السنة ,فكيف بما كان منها كذلك[56] ؟! بل الذي جاءنا في

البخاري,وانظر"الحطة في ذكر الصحاح الستة"(238-228). وما أجمل قول الإمام ابن الديبع الشيباني المتوفى سنة(944) رحمه الله:

تنازعَ قومٌ في البخاري ومسلمٍ
لدي وقالوا:أيٍ ذينِ يُقدمُ؟
فقلتُ: لقد فاقَ البخاريُ صحةً
كما فاقَ في حُسنِ الصناعةِ مسلمُ

والأبيات في"فهرس الفهارس"(414/1).

51 كابن حبان وابن خزيمة وغيرهما, وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله.

52 كالسنن الأربعة والمسانيد وغيرها.

53 قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوي"(250/1-ط.الرياض) : ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة.وانظر"سير أعلام النبلاء"(602/2-ط.الرسالة) والتعليق عليه.

54 انظر التعليق المتقدم برقم(35).

55 كلمة تتكرر كثيرا في كتب الفقه,والمراد منها: معظم الأئمة وغالبهم.

56 قال العلامة جمال الدين القاسمي في "قواعد التحديث"(94): ومن ثمرات علم الحديث:لزوم قبول الصحيح-وإن لم يعمل به أحد- ,قال الإمام الشافعي

كتاب الله على لسان رسول الله ρ : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[الحشر:7] و{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[الأحزاب:21] إلى غير ذلك.

وصح عن رسول الله ρ أنه قال:" كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد"([57])

فالحاصل أن من بلغ في العلم إلى رتبة يفهم بها تراكيب كتاب الله ,ويرجح بها بين ما ورد مختلفا من تفسير السلف الصالح, ويهتدي به إلى كتب السنة التي

رحمه الله في"رسالته" الشهيرة: ليس لأحد دون رسول الله ρ أن يقول إلا بالاستدلال, ولا يقول بما استحسن,فإن القول بما استحسن,شيء يحدثه لا على مثال سابق.قلت: كذا في "الرسالة" (رقم70) وقال الشافعي رحمه الله في رسالته(598 و599) أيضا :"وأما أن نخالف حديثا عن رسول اللهρ ثابتا عنه: فأرجو أن لا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله, وليس ذلك لأحد,ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها,لا أنه عمد خلافها,وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل".قلت:وقد علق على هذه الكلمة العظيمة محقق الكتاب العلامة المحدث أحمد محمد شاكر قائلا:(الله أكبر,هذا هو الإمام حقا ,وصدق أهل مكة وبروا حين سموه"ناصر الحديث"). رحم الله الجميع.

[57] أخرجه البخاري(2697) ومسلم(1718) وأبو داود(4606) وابن ماجة(14) وأحمد(73/6 و146 و270) والبيهقي(119/10) والطيالسي(1422) قال شيخنا الألباني حفظه الله بعد تخريجه للحديث في "إرواء الغليل"(128/1): وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام, وهو من جوامع كلمه ρ ,فإنه صريح في رد وإبطال كل البدع والمحدثات. قلت:وانظر التعليق رقم(1).

يعرف بها ما هو صحيح, وما ليس بصحيح, فهو مجتهد([58]), لا يحل أن يقلد غيره كائنا من كان في مسألة من مسائل الدين , بل يستروي ([59]) النصوص من أهل الرواية([60]), ويتمرن في علم

---

[58] يريد الشوكاني رحمه الله بقوله:"المجتهد" أي:المجتهد في الفهم والبحث,وهو المتبع,صاحب المرتبة الوسطى بين الاجتهاد والتقليد ألا وهي مرتبة الاتباع, وانظر"الاعتصام"(343-342) و"جامع بيان العلم"(143/2) و"بدعة التعصب المذهبي" (39-33), والدليل على هذا كله ما أورده هو نفسه رحمه الله في"إرشاد الفحول"(251) بعد أن أورد خلاف العلماء في حد المجتهد, ثم قال: ولا يخفاك أن كلام أهل العلم في هذا الباب من قبيل الإفراط, وبعضه من قبيل التفريط,والحق الذي لا شك فيه ولا=

=شبهة,أن المجتهد لابد أن يكون....قلت:ثم أورد كلاما طويلا خلاصته:

أ-أن يكون عارفا بما اشتملت عليه مجاميع السنة من أحاديث,ولا يشترط حفظها,بل أن يكون متمكنا من استخراجها من مواضعها, وأن يكون ممن له تمييز بين صحيح الحديث وسقيمه.
ب-أن يكون عارفا بمسائل الإجماع,لئلا يفتي بخلافه.
ج-أن يكون عارفا بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة ولا يشترط أن يكون حافظا لها عن ظهر قلب.
د-أن يكون عارفا بعلم أصول الفقه لأنه عماد الاجتهاد.
ه-أن يكون عارفا بالناسخ والمنسوخ,بحيث لا يفتي بالحكم المنسوخ.
ثم ذكر خلاف العلماء في اشتراط الدليل العقلي,وأصول الدين وعلم الفروع الفقهية,ثم رجح عدم اشتراط الأول أما الثاني فرجح معرفة قواعده ومجملاته, دون دقائقه وتفصيلاته,أما الثالث,فلا,لأنه ينتج عن الاجتهاد, ثم ذكر علم الجرح والتعديل وضمه إلى الشرط الأول وهو العلم بالسنة.

الدراية([61]) بأهل الدراية, ويقتصر من كل فن على مقدار الحاجة.
والمقدار الكافي من تلك الفنون ,هو ما يصل([62]) به إلى الفهم والتمييز. ولا شك أن التبحر في المعارف, وتطويل الباع([63]) في أنواعها, هو خير كله, لا سيما الاستكثار من علم السنة وحفظ المتون([64]), ومعرفة أحوال رجال الإسناد([65]), والكشف عن كلام الأئمة في هذا الشأن, فإن ذلك مما يوجب تفاوت المراتب بين المجتهدين لا أنه يتوقف الاجتهاد عليه.
فإن قلت: ربما يقف على هذا الكلام من هو متهيئ

---

59 أي يطلب مروياتها.
60 قال طاش كبري زادة في"مفتاح السعادة"(60/2): هو علم يبحث عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ρمن حيث أحوال رواته ضبطا وعدالة, ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا,وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الأحاديث.وانظر"أبجد العلوم"(306/2).
61 قال طاش كبري زادة في"مفتاح السعادة"(128/2): هو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث,وعن المعنى المراد منها, مبتنيا على قواعد اللغة العربية,وضوابط الشريعة. ومطابقا لأحوال النبي ρ.وانظر "أبجد العلوم"(285/2).
62 في الأصل:يتصل ,ولعل الصواب ما أثبت.
63 أي: بلوغ الغاية فيه.
64 وهو ما انتهى إليه السند من الكلام,والمراد هنا:نصوص الأحاديث وألفاظها,وانظر"تدريب الراوي"(42/1) للإمام السيوطي.
65 ويقال:السند,وهو سلسلة الرواة الموصلة إلى متن الحديث,وانظر "التعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية"(10) بقلمي.

لطلب العلم, فلا يدرى بما ذاك يشتغل, ولا يعرف ما هو

الذي إذا اقتصر عليه في كل فن بلغ إلى رتبة الاجتهاد ([66]) , والذي يجب عليه عنده العمل بالكتاب والسنة.

قلت: لا يخفى عليك أن القرائح([67]) مختلفة, والفطن متفاوتة, والأفهام متباينة, فمن الناس من يرتفع بالقليل إلى مرتبة علية, ومن الناس من لا يرتفع من حضيض([68]) التقصير بالكثير, وهذا معلوم بالوجدان([69]).

ولكني ههنا أذكر ما يكتفي([70]) به من كان متوسطا بين الغايتين فأقول: يكفيه من علم مفردات اللغة, مثل" القاموس"([71]), وليس المراد إحاطته به حفظا, بل المراد الممارسة لمثل هذا الكتاب أو ما

---

66 انظر التعليق المتقدم برقم(58).

67 مفردها قريحة,وهي: طبيعة الإنسان التي جبل عليها.

68 نهاية.

69 بالإدراك والمعرفة والاطلاع.

70 في الأصل :يكفي, ولعل الصواب ما أثبت.

71 هو"القاموس المحيط" للعلامة المجد الفيروزآبادي المتوفى سنة (817ه) وهو مطبوع متداول وانظر لزاما"كشف الظنون" (1310-1306/2).

يشابهه, على وجه يهتدي به إلى وجدان ما يطلبه منه عند الحاجة([72]).

ويكفيه في النحو, مثل: "الكافية"([73]) لابن الحاجب([74]), و"الألفية"([75]) وشرح مختصر من شروحها([76]).
وفي الصرف مثل: "الشافية"([77]) وشرح من شروحها المختصرة,([78]) مع أن فيها مالا تدعو إليه حاجة.

---

72 انظر القسم الثالث من هذه الرسالة.

73 وهي مطبوعة معروفة,ذكرها حاجي خليفة في"كشق الظنون"(1376/2-1370), وقال في صدر كلامه:وهي مختصرة معتبرة,شهرتها مغنية عن التعريف بها.

74 هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس,من فقهاء المالكية, ولد في أسنا من صعيد سنة (570ه) وتوفي في الإسكندرية سنة (646ه) له مصنفات عدة,ترجمته في "غاية النهاية" (508/1) و"النجوم الزاهرة"(260/6) و"شذرات الذهب" (235/5-234) و"البداية والنهاية"(176/13) .

75 وهي مطبوعة متداولة ,ذكرها حاجي خليفة في"كشف الظنون"(151/1 –155) وقال ما ملخصه: وهي مقدمة مشهورة في ديار العرب, جمع فيها مقاصد العربية, وسماها"الخلاصة" وإنما اشتهرت ب"الألفية" لأنها ألف بيت في الرجز.

76 فإن لها شروح كثيرة,أشهرها في أيامنا هذه:"شرح ابن عقيل" و"شرح ابن الناظم" و"شرح محمد محيي الدين عبد الحميد" وكلها مطبوعة.

وفي أصول الفقه مثل: "جمع الجوامع"([79]) و"التنقيح"([80]) لابن صدر الشريعة([81]), و"المنار"([82]) للنسفي ([83]), أو "مختصر

---

[77] وهي لابن الحاجب أيضا,وقد تقدمت ترجمته برقم(74),وقد استوعب حاجي خليفة الكلام على "الشافية" في "كشف الظنون"(1020-1022/2) فليراجع.

[78] وقد طبعت عدة شروح للشافية بمجلدين باسم"مجموعة شروح الشافية" في دار الطباعة العامرة سنة (1310ه),ثم صور الكتاب في بيروت حديثا.

[79] للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب السبكي, ولد في القاهرة سنة(727) له مصنفات عدة في الأصول وغيرها, أشهرها "طبقات الشافية الكبرى" وهو مطبوع, توفي رحمه الله في دمشق سنة (771ه), ترجمته في "الدرر الكامنة"(425/2) و"حسن المحاضرة"(328/1) و"النجوم الزاهرة"(108/11) و"البدر الطالع"(410/1).

[80] ذكره حاجي خليفة في"كشف الظنون"(496-499/1).

[81] هو عبيد الله بن مسعود,من كبار علماء الحنفية,له مصنفات عدة, اختلف في تاريخ وفاته على أقوال تنظر في مصادر ترجمته,"الفوائد البهية" (109) و"تاج التراجم"(29) و"الأعلام"(197/4) و"معجم المؤلفين" (246/6).

[82] واسمه "منار الأنوار" ذكره حاجي خليفة في "الكشف"(1823/2-1827).

[83] هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي, له تصانيف عديدة, توفي في بلدة إيذج سنة (710ه), ترجمته في"الدرر الكامنة"(247/2) و"الفوائد البهية" (101-102) و"مفتاح السعادة"(188/2) و"الأعلام"(67/4).

المنتهى" ([84]) لابن الحاجب, أو "غاية السول"([85]) لابن الإمام([86]), وشرح من شروح هذه

المختصرات المذكورة, مع أن فيها جميعها ما لا تدعو إليه حاجة, بل غالبها كذلك, ولا سيما تلك التدقيقات
التي في شروحها وحواشيها, فإنها عن علم الكتاب والسنة بمعزل([87]).
ولكنه جاء في المتأخرين من اشتغل بعلوم أخرى خارجة عن العلوم الشرعية ثم استعملها في العلوم الشرعية, فجاء من بعده فظن أنها من علوم الشريعة, فبعدت عليهم المسافة وطالت عليهم

---

84 "المنتهى" هو:"منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل" و"مختصره" كلاهما لابن الحاجب,وانظر"مفتاح السعادة" (186-187/2) و"كشف الظنون"(1853-1857/2).

85 ذكره الشوكاني في"أدب الطلب"(136-137) ومدحه.

86 هو الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي, أمير من فقهاء الزيدية= =في اليمن,توفي في مدينة زبيد سنة (1050ه) ترجمه الشوكاني في "البدر الطالع"(266/1) وله ترجمة في"خلاصة الأثر"(104/2) و "هدية العارفين"(322/1) و"الأعلام"(252/2) وله شرح على "الغاية" اسمه "هداية العقول" مخطوط في جامعة الرياض برقم(1539).

87 كالمنطق,فقد خلط كثير من الأصوليين المباحث المنطقية بالمباحث الأصولية,وانظر ما كتبه الإمام السيوطي في "تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد"(50) عن المنطق وأثره في الأصول.

الطرق, فربما بات دون المنزل([88]), ولم يبلغ إلى مقصده, فإن وصل,[يصل] بذهن كليل([89]), وفهم عليل, لأنه قد استفرغ قوته في مقدماته, وهذا مشاهد معلوم, فإن غالب طلبة علوم الاجتهاد([90]) تنقضي أعمارهم
في تحقيق الآلات([91]) وتدقيقها, ومنهم من لا يفتح كتابا من كتب السنة, ولا سفرا([92]) من أسفار التفسير.
فحال هذا كحال من حصل الكاغد([93]), والحبر ,وبرى أقلامه ,ولاك دواته([94]), ولم يكتب حرفا, فلم يفعل المقصود, إذ لا ريب أن المقصود من هذه الآلات([95]) هو الكتابة, كذلك حال من قبله.
ومن عرف ما ذكرناه سابقا لم يحتج إلى قراءة كتب التفسير على الشيوخ ([96]), لأنه قد حصل ما يفهم به

---

88 أورد الإمام هذا الكلام مورد المثل,أي:إن الذي يأتي الشريعة من غير أبوابها قد يخرج عنها, ويبتعد منها.
89 ضعيف.
90 وهي العربية والسنة والأصول وغيرها,كما تقدم.
91 انظر التعليق المتقدم برقم(24).
92 هو الكتاب الكبير.
93 كلمة فارسية معربة,معناها: الورق, وانظر"تاج العروس" (486/2)
94 أي يدير محبرته ويهيئها.
95 هي هنا بمعنى الوسائل.
96 إذ أن القراءة على الشيوخ وسيلة للوصول إلى العلم وليست غاية بذاتها,فمن وصل إلى العلم بإتقان وجودة من طريق الكتب والمصنفات فقد

الكتاب العزيز, وإذا أشكل عليه شيء من مفردات القرآن رجع إلى ما قدمنا من أنه يكفيه من علم اللغة([97]),إذا أشكل عليه

إعراب([98]), فعنده من علم النحو ما يكفيه, وكذلك إذا كان الإشكال يرجع إلى علم الصرف.
وإذا وجد اختلافا في تفاسير السلف التي يقف عليها مطالعه, فالقرآن عربي, والمرجع لغة العرب, فما كان أقرب إليها, فهو أحق مما كان أبعد, وما كان من تفاسير الرسول ρ فهو- مع كونه شيئا يسيرا- موجود في كتب السنة([99]), ثم هذا المقدار الذي قدمنا, يكفي في معرفة معاني متون الحديث, وأما ما يكفيه في معرفة كون الحديث صحيحا, أو غير صحيح, فقد قدمنا الإشارة إلى ذلك([100]), ونزيده إيضاحا فنقول:
إذا قال إمام من أئمة الحديث المشهورين بالحفظ والعدالة وحسن المعرفة أنه لم يذكر في كتابه إلا ما كان صحيحا,

---

أجزأه ,وانظر القسم الثالث(ص53) و "الرد العلمي".(ص46,47) بقلمي مشاركة مع الأخ سليم الهلالي.

97 ويرجع أيضا إلى "المفردات"للراغب الأصبهاني, و"تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب"للإمام أبي حيان النحوي, وكلاهما مطبوع.

98 وهو تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وجزم,على ما هو مبين في قواعد النحو.

99 انظر"مجموع فتاوي ابن تيمية"(389/13-385-طبع الرياض).

100 انظر التعليقات المتقدمة برقم (55-50).

وكان ممن مارس هذا الشأن ممارسة كلية كصاحبي الصحيحين, وبعدهما صحيح ابن حبان ([101]), وصحيح ابن خزيمة ([102]), ونحوهما ([103]), فهذا القول مسوغٌ للعمل بما وجد في تلك الكتب ([104]), وموجب لتقديمه على التقليد, وليس هذا من التقليد, لأنه عمل برواية الثقة, والتقليد عمل برأيه وهذا الفرق أوضح من الشمسِ, وإن التبس على كثير من الناس.

---

[101] وهو المعروف ب"التقاسيم والأنواع" ولا توجد منه نسخة كاملة,أما ترتيبه المسمى ب"الإحسان"للإمام ابن بلبان الفارسي فقد حقق العلامة أحمد=

=شاكر جزءا منه , وطبع قديما, ثم حقق الشيخ عبد الرحمن محمد عثمان ثلاثة أجراء منه,والآن فقد نَهَدَ لهذه المهمة أستاذنا الشيخ شعيب الأرنؤوط , وقد فرغ من تحقيق بضعة أجزاء منه صدر منها الأول, والباقي تحت الطبع.

[102] كان الظن السائر عند أهل العلم لسنوات ماضية أنه مفقود ثم عثر الدكتور محمد مصطفى الأعظمي على قطعة منه في مكتبة أحمد الثالث بإسلامبول في تركيا برقم(348) ثم طبعه في المكتب الإسلامي ببيروت بمراجعة أستاذنا العلامة الألباني , بأربعة مجلدات متوسطة.

[103] مثل "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري.

[104] هذا كلام غير دقيق من الإمام رحمه الله, ففي "صحيحي" ابن خزيمة وابن حبان و"المستدرك" أحاديث كثيرة قد حكم الأئمة بضعفها ومهم الشوكاني نفسه رحمه الله وانظر مقدمة العلامة أحمد شاكر ل"صحيح ابن حبان" (ص13) ومقدمة الدكتور الأعظمي ل"صحيح ابن خزيمة"(ص22) و"اللآلئ المصنوعة" (26/2) و"الفتاوي"(255/1) و"البداية والنهاية"(100/2) و"نيل الأوطار" (381/2) و"فيض القدير"(322/1) وانظر"الأجوبة الفاضلة" (144-150)للكنوي, والتعليق عليه

وأما ما يندن حوله أرباب علم المعاني والبيان[105] من اشتراط ذلك, وعدم الوقوف على حقيقة معاني الكتاب والسنة بدونه فأقول:

ليس الأمر كما قالوا لأن ما تمس الحاجة إليه في معرفة الأحكام الشرعية قد أغنى عنه ما قدمنا ذكره من اللغة والنحو والصرف والأصول, والزائد عليه - وإن كان من دقائق العربية وأسرارها- ومما له مزيد تأثير في معرفة بلاغة الكتاب العزيز: لكن ذلك أمر وراءً ما نحنُ بصدده.

وربما يقولُ قائلٌ: بأن هذه المقالة مقالة من لم يعرف ذلك الفن حق معرفته!! وليس الأمر كما يقول, فإني قد شغلت برهة من العمر في هذا الفن, فمنه ما قعدت فيه بين أيدي الشيوخ, كشرح "التلخيص" [106] المختصر, وحواشيه, وشرحه المطول, وحواشيه, وشرحه الأطولِ, ومنه ما طالعته

---

105 انظر التعليق المتقدم برقم(25)و"مفتاح السعادة"(200-201/1).

106 هو"تلخيص المفتاح في المعاني والبيان" للشيخ الإمام محمد بن عبد الرحمن بن عمر,القزويني, ولد سنة(666ه) وتوفي في دمشق سنة(739ه) له ترجمة في "البدر الطالع"(183/2) و"النجوم الزاهرة"(318/9) و"البداية والنهاية"(185/14) و"الدرر الكامنة"(3/4) ,وانظر عن "التلخيص"وشروحه وحواشيه "كشف الظنون"(210/1) و(473/1) و"مفتاح السعادة"(209/1).

مطالعة متعقب, وهو ماعدا ما قدمته, وقد كنت أظن في مبادئ طلب هذا الفن ما يظنه هذا القائل, ثم قلت ما قلت عن خبرة وممارسة وتجريب, و الزمخشري ([107]) وأمثاله وإن رغبوا في هذا الفن, فذلك من حيث كون له مدخلا في معرفة البلاغة كما قدمنا.

وهذا الجواب الذي ذكرته ههنا, هو الجواب عن المعترض في سائر ما أهملته مما يظن أنه معتبر في الاجتهاد, ومع ذلك كله فلسنا إلا بصدد بيان القدر الذي يجب عنده العمل بالكتاب و السنة, وإلا فنحن ممن يرغب الطلبة في الاستكثار من المعارف العلمية على اختلاف أنواعها, كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ومن رام ([108]) الوقوف على ما يحتاج إليه طالب العلم من العلوم على التفصيل والتحقيق, فليرجع إلى الكتاب الذي جمعته في هذا وسميته "أدب الطلب ومنتهى الأرب" ([109]),

---

[107] هو أبو القاسم, محمود بن عمر بن محمد له مصنفات عديدة, ولد بزَمَخشر من قرى خوارزم سنة (467), وتوفي بجرجانية خوارزم سنة (538ه) له ترجمة في "النجوم الزاهرة" (274/5) و "المنتظم" (112/1) و"البداية والنهاية" (219/12) و"لسان الميزان" (4/6).

[108] أراد وطلب.

[109] وقد طبع في اليمن, ثم صورته دار الأرقم في مصر, ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة صنعاء برقم (54-مجاميع), و"الأرَب" معناها: البغية والأمنية, وهو من أعظم ما صنفه الشوكاني, والكتاب بحاجة إلى تحقيق وتعليق, حتى يعم نفعه, وتزداد فائدته.

فهو كتاب لا يستغني عنه طالب الحق.
على أني أقول بعد هذا:
إن من كان عاطلا عن العلوم ([110])، الواجب عليه أن يسأل من يثق بدينه وعلمه عن نصوص الكتاب والسنة في الأمور التي تجب عليه من عبادة أو معاملة، وسائر ما يحدث له، فيقول لمن يسأله: علمني ما ثبت في ذلك من الأدلة حتى أعمل به ([111]) وليس هذا من التقليد في شيء، لأنه لم يسأله عن رأيه، بل عن روايته، ولكنه لما كان -لجهله- لا يفطن ([112]) ألفاظ الكتاب والسنة، وجب عليه أن يسأل من يفطن ذلك، فهو عامل بالكتاب والسنة بواسطة المسؤول.
ومن أحرز ما قدمنا من العلوم، عمل بها بلا واسطة في التفهيم ([113]) وهذا يقال له: مجتهدٌ ([114])، والعامي المعتمد على السؤال ليس بمقلد ولا مجتهد، بل عامل بدليل بواسطة

---

[110] أي:من العوام.

[111] وليس كما يفعله عوام هذا الزمان وأنصاف المتعلمين منهم في بحثهم عن رخص المذاهب وزلات العلماء، لتتبعها والأخذ بها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[112] يتبين ويعلم.

[113] أي دون أن يسأل غيره.

[114] انظر التعليق المتقدم برقم (58).

مجتهد يفهمه معانيه, وقد كان غالب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين هم خير القرون من هذه الطبقة ([115]) ولا ريب أن العلماء بالنسبة إلى غير العلماء أقل[من] قليل, فمن قال: إنه لا واسطة بين المقلد والمجتهد, قلنا له: قد كان غالب السلف الصالح ليسوا بمقلدين ولا مجتهدين, أما كونهم ليسوا بمقلدين, فلأنه لم يسمع عن أحد من مقصري الصحابة أنه قلد عالما من علماء الصحابة والمشاهير, بل كان جميع المقصرين منهم يستروون علمائهم نصوص الأدلة ,ويعملون بها, وكذلك من بعدهم من التابعين وتابعيهم, ومن قال: إن جميع الصحابة مجتهدون وجميع التابعين وتابعيهم[كذلك], فقد أعظم الفرية, وجاء بما لا يقبله عارف.

وهذه المذاهب و التقليدات -التي معناها قبول قول الغير دون حجة- لم تحدث إلا بعد انقراض خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ([116]).

وخيرُ الأمورِ السالفاتُ على الهدى * وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائعُ([117])**

---

[115] قال الشوكاني رحمه الله في "أدب الطلب"(139) يشرح كلاما له بمعنى ما هنا: فإنهم كانوا يسألون أهل العلم منهم عن حكم ما يعرض لهم مما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم فيروون لهم في ذلك ما جاء عن الله تعالى, أو عن رسوله الله ρ,فيعملون برواياتهم لا برأيهم, من دون تقليد ولا التزام رأي كما يعرف ذلك من يعرفه.
قلت: وانظر التعليق المتقدم برقم (34).

[116] انظر التعليق المتقدم برقم (23).

وإذا لم يسع غير العالم في عصور الخلف ما وسعه في عصور السلف فلا وسع الله عليه.

[والحمد لله أولا وآخرا, وظاهرا وباطنا, وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.] ([118])

θωε
ζξχ

((2))

مع العلماءِ في صبرِهم وجهادِهم

---

117 أورده الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في"العواصم والقواصم في الذب عن سنةِ أبي القاسم" (1/ق132-مخطوطة جامعة أم القرى) وعزاه للإمام ابن حزم الأندلسي, المتوفى سنة (456ه) ترجمته في "مطمح الأنفس" (279) و"الصلة البشكوالية" (395/2) "تذكرة الحفاظ" (1140/3).

118 اقتباس من "الدواء العاجل" للشوكاني (51).

اعلم أخي المسلم-فقهني الله وإياك-أنني رغبت أن أضيف هذا المبحث لهذه الرسالة.لما فيه من إثارة قوية لمشاعر طالب العلم الذي يسعى جاهدا للوصول إلى المقامات العلية في العلوم الشرعية.

فهو أخبار حقيقية, وقصص واقعية, حدثت مع كثير من العلماء العاملين, والفقهاء الصالحين, فهي- بمجموعها- من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس وأجودها, وهي-أيضا-تدفع النفس الإنسانية الضعيفة إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة, والمقاصد الجليلة, وتبعثها إلى التأسي بذوي التضحيات لتسمو بها إلى أعلى الدرجات ([119]).

●رحلة:

عن مالك عن يحيى بن سعيد بن المسيب, قال: كنت

أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد."البداية والنهاية" (10/9)

- تحصيل:

قال ابن المديني: قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد, والسير في البلاد, وصبر

---

119 وقد استفدت كثيرا مما جمعه الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه النافع الماتع"صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل" نشر مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب, فجزاه الله خيرا.

كصبر الجماد, وبكور كبكور الغراب."تذكرة الحفاظ" (□/▶ ▶ ▶-□ ▶)

●تثبت:

قال أبو العالية:كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ρ ونحن بالبصرة, فما نرضى حتى نركب إلى المدينة فنسمعها من أفواههم."الكفاية في علم الرواية" (◀ ـ ▶).

●إيثار:

قال الحافظ أبو إسحاق الحبال: كنت يوما عند أبي نصر السجزي, فدق الباب, فقمت ففتحته, فدخلت امرأة وأخرجت كيسا فيه ألف دينار, فوضعته بين يدي الشيخ, وقالت: أنفقها كما ترى. قال: ما المقصود؟ قالت: تتزوجني, ولا حاجة بي في الزواج, ولكن لأخدمك, فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف.

فلما انصرفت قال: خرجت من سجستان بنية طلب العلم, ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم, وما أوثر على ثواب طلب العلم شيئا."تذكرة الحفاظ" (1119/3).

●صبر:

قال ابن خلكان في ترجمة أبي زكريا التبريزي: كان له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرهما, قرأ على

أبي العلاء المعري وغيره من أهل الأدب, **وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري أنه حصلت له نسخة من كتاب "التهذيب" ([120]) في اللغة، تأليف أبي منصور الأزهري, في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة، فدل على المعري، فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه, من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً، فنفذ العرق من ظهره إلى الكتب التي يحملها, فأثر فيها البلل، وهي ببعض الوقوف ببغداد فإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها, ظن أنها غريقة، وليس بها سوى عرق التبريزي, "وفيات الأعيان" (233/2)**

●شرف:

قال الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ذاكرا فضل أصحاب الحديث وطلابه:

هم قوم سلكوا محجة الصالحين, واتبعوا آثار السلف من الماضين, ودمغوا أهل البدع والمخالفين, بسنن رسول الله وعلى آله أجمعين. آثروا قطع

---

[120] وهو مطبوع.

المفاوز والقفار([121]), على التنعم في الدمن والأوطار ([122]), وتنعموا بالبؤس في الأسفار, مع مساكنة العلم والأخبار, وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار, بوجود الكسر والأطمار([123]), جعلوا المساجد بيوتهم, وأساطينها تكاياهم ([124]), وبواريها ([125]) فرشهم, نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم, وجعلوا غذاءهم الكتابة, وسمرهم المعارضة([126]), واسترواحِهم المذاكرة,

وخلوقهم المداد ([127])**,ونومهم السهاد ([128]),وتوسدهم الحصى.**
فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية ([129]) عندهم رخاء, ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس! فعقولهم بلذاذة السنة غامرة,وقلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة, تعلم السنن سرورهم,

---

121 الصحاري والأراضي الخالية.
122 مخالطة الناس, ومآربه فيهم.
123 الثياب البالية.
124 أي:جعلوا سواري المسجد وأعمدته متكآتهم التي يسندون ظهورهم إليها.
125 هي الحصر والبسط.
126 أي مقابلة الكتاب الذي كتبوه بالكتاب الذي سمعوه أو نقلوا منه.
127 أي: جعلوا عطرهم الحبر الذي يكتبون بواسطته.
128 الأرق.
129 هي ذات العدد القليل من الرواة, وانظر"التعليقات الأثرية" (21).

ومجالس العلم حبورهم ([130])، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، و أهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم. "معرفة علوم الحديث" (3-2).

●لذة:

عن محمد بن سلامٍ الجُمحي قال : قيل للمنصور: هل من بقي من لذاتٍ الدنيا شيء لم تنله ؟ قال : بقيت خصلة: أن أقعد في مصطبةٍ، و حولي أصحاب الحديث، يقول المستملي : من ذكرت رحمك الله؟- يعني: فأقول:حدثنا فلان،قال: حدثنا فلان عن رسول الله ρ-قال: فغدا ([131]) عليهِ

النُدماءُ و أبناءُ الوزراءِ بالمحابر و الدفاتر، فقال لهم: لستم بهم ([132])! إنما هم الدنِسَةِ ثيابهم ([133])، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، بُرُدُ الآفاق ([134])،ونقلة الحديث. "تاريخ الخلفاء" (ص177).

●مذاكرة:

قال علي بن الحسن بن شقيق: قمت مع عبد الله بن المبارك ليلة باردة، ليخرج من المسجد، فذاكرني

---

130 أي:السرور والنعيم.

131 أي: بكرَ.

132 أي: لستم بأصحاب الحديث الذين أعنيهم.

133 لكثرة أسفارهم وعدم تفرغهم لغسلها.

134 أي:جوبوا البلدان والمسافات البعيدة.

عند الباب بحديث وذاكرته, فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذن فأذن للفجر. "تذكرة الحفاظ" (277/1).

●فناء:

قال ابن القاسم: **كنت آتي مالكاً غلساً ([135])، فأسأله عن مسألتين, ثلاثة, أربعة، وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر، فكنت آتي كل سحر، فتوسدتُ مرة عتبتهُ, فغلبتني عيني، فنمت, وخرج مالك إلى المسجد, فلم أشعر به، فركضتني سوداءُ له برجلها, وقالت لي: إن مولاك ([136]) قد خرج, ليس يغفل كما تغفل أنت، اليوم له تسع وأربعون سنة, قلما صلى الصبح إلا بوضوء العتمة.**

قال ابن القاسم: وأنختُ بباب مالك سبع عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئاً, قال: فبينما أنا عنده, إذ أقبل حاج مصر، فإذا شاب متلثم دخل علينا, فسلم على مالك, فقال: أفيكم ابنُ القاسم؟ فأُشيرَ إلي, فاقبل يقبل عيني, ووجدت منه ريحاً طيبة، فإذا هي رائحة الولد, وإذا هو ابني، وكان ترك أمه حاملاً به ([137]) ،

---

135 هي ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصبح.

136 ظنا منها أمه مولاه من كثرة اختلافه إليه.

137 أي زوجة ابن القاسم فهي أم ولده.

وكانت ابنة عمه، وكان خيرها عند سفره لطول إقامته, فاختارا البقاء. "ترتيب المدارك" (250/3).

●صيد:

قال ابن كثير: كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه, فيوقد السراج, ويكتب الفائدة تمر بخاطره, ثم يطفئُ سراجه, ثم يقوم مرة أخرى, وأخرى, حتى كان يتعدد منه ذلك قريبا من عشرين مرة. "البداية والنهاية" (25/11).

●جوع:

قال علي بن احمد الخوارزمي: قال ابن أبي حاتم: كنا بمصر سبعة اشهر, لم نأكل فيها مرقة, نهارنا ندور على الشيوخ, وبالليل ننسخُ ونقابلُ ([138]), فأتينا يوما- أنا ورفيق لي- شيخا, فقالوا هو عليل, فرأيت سمكة أعجبتنا فاشتريناها, فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ, فمضينا فلم تزلِ السمكة ثلاثة أيام,وكادت أن تنتن, فأكلناها نيئة لم نتفرغ لشويها, ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد. "تذكرة الحفاظ" (830/3).

●إخلاص:

قال ابن الجوزي واصفا نفسه في طلب العلم:ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم, ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل, لأجل ما أطلب و أرجو,وكنت- زمن الصبا- آخذ معي أرغفة يابسة, فأخرج في طلب الحديث ،

---

138 أي: نراجع ما نسخناه على أصوله.

و أقعد على نهر عيسى ([139]), فلا أقدر على أكلها إلا عند المساء , فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم, فأثمر ذلك عندي أني عُرِفتُ بكثرة

سماعي لحديث الرسول ρ و أحواله و آدابه، و أحوال أصحابه و تابعيهم. "صيد الخاطر" (330/2).

●إخاء:

قال عمر بن حفص الأشقر : إنهم فقدوا البخاري أياما من كتابة الحديث بالبصرة, قال: فطلبناه, فوجدناه في بيت وهو عريان, وقد نفذ ما عنده, ولم يبق معه شيء, فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه, ثم اندفع معنا في كتابة الحديث. "تاريخ بغداد" (13/2).

●عُرْي:

قال أبو العباس الجرجاني: كان أبو إسحاق الشيرازي لا يملك شيئا من الدنيا, فبلغ به الفقر مبلغه,حتى كان لا يجد قوتا ولا ملبسا! قال: ولقد كنا نأتيه وهو ساكن في القطيعة ([140]), فيقوم لنا نصف قومة, ليس يعتدل قائما من العري, كي لا يظهر منه شيءٌ. "طبقات الشافعية الكبرى" (90/3).

---

[139] في بغداد.

[140] حي في بغداد أيضا.

●سَخَاء:

حكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي اللغوي, أن
أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن سلك الفالي ([141]) الأديب,كانت له نسخة بكتاب " الجمهرة " ([142]) لابن دريد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها, واشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين ديناراً، وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن الفالي المذكور وهي:

أنِستُ بها عشرين حولاً وبعتُها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغارٍ عليهم تستهل شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرةٍ ... مقالة مكوي الفؤاد حزينِ
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من ربٍ بهن ضنينِ

---

141 بالفاء, منسوب إلى فالة, بلدة بخوزستان, انظر "معجم البلدان" (232/4) ولا يختلطن عليك بأبي علي القالي, بالقاف, وانظر "تبصير المتنبه" (1149), فتنبه.

142 انظر "كشف الظنون" (605-606/1).

فأرجع النسخة إليه, وترك له الدنانير, رحمه الله تعالى. "وفيات الأعيان" (337/1).

●شرط:

قال النضر بن شُميل: لا يجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه. "تذكرة الحفاظ" (314/1).

((3))

مَعَ طَلَبَةِ العِلْمِ في تحصيلهم

معلوم أنه يجبُ على كل مسلم طلبُ ما تلزمه معرفتهُ مما فرضه الله عليه حسبَ ما يقدرُ عليه من بذلِ الجهد في طلبِ العلم .

وكان المنهاج الصحيح الذي سار عليه السابقون من أهل العلم في تحصيلهم وطلبهم للعلوم, هو ملازمة المشايخ والعلماء والأخذ من أفواههم (*) .

ولكن, في أيامنا هذه, ذهب الشيوخ المعتمدون, ولم يبقَ إلا قلة منهم, وتلاشت حلقات العلمِ, وفقدت مجالس التفقه في دين الله, فكان ماذا!؟

ألا يتعلم المسلم دينه؟ ألا يتفقه المسلم في شريعته؟ بلى, فلا بد للمسلم من هذا كله.

لذلك, رأيت أن ألحق في هذه الرسالة, منهاجا شاملا لكل ما يتصل بالعلوم الشرعية مما يحتاجه طالب العلم المسلم, مقسما إلى ثلاث مراحل, في كل مرحلة كتاب أو أكثر, والمراحل الثلاث, تشمل جميع المستويات فمن واظب

(*)انظر التعليق المتقدم (96).

على هذه المراحل-بأذن الله-من طلبة العلم المتثبتين. وهذا الذي بينتُ هو فعل المتقدمين من أهل العلم, كما بين الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع علوم الحكم" (204/2)
فقال: "طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها, ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله, ومن تعدى سبيلهم عامدا ضل, ومن تعداه مجتهدا زل" .فتأمل.

المرحلة العلمية الأولى

1_العقيدة الإسلامية:

أ_عقيدة السلف أصحاب الحديث: أبو عثمان الصابوني.
ب_حاشية الثلاثة أصول وأدلتها:محمد بن عبد الوهاب.

2_القرآن الكريم:

أ_القرآن الكريم
ب_حق التلاوة: حسني شيخ عثمان.

3_ الحديث النبوي:
أ_ الأربعون النووية:الإمام النووي.
ب_ رياض الصالحين ([143]) :الإمام النووي.

4_ الأخلاق والسلوك:
أ_ الأخلاق والسير في مداواة النفوس:الإمام ابن حزم الأندلسي.
ب_ الإخلاص: حسين العوايشة.
5_ السيرة:
فقه السيرة: محمد الغزالي.
6_ الفقه:
فقه السنة: سيد سابق.
7_ التفسير:
أ_ مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيمية.
ب_ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
8_ فقه الدعوة:
أ_ ركائز الدعوة في القرآن: محمد إبراهيم شقرة.
ب_ المجتمع الرباني: محمد إبراهيم شقرة.

---

143 واحرص في هذا الكتاب وفي سائر الكتب الآتية على اقتناء النسخ المحققة المخرجة أحاديثها.

9_النحو والصرف:
ملخص قواعد اللغة العربية: فؤاد نعمة.
10_مفردات اللغة:
مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي.
11_البدع:
البدعة وأثرها السيئ في الأمة: سليم الهلالي.
12_البلاغة:
البلاغة الواضحة: علي الجارم, مصطفى أمين.
13_التاريخ:
التاريخ الإسلامي: محمود شاكر الحرستاني.

14_مصطلح الحديث:
أ_التعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية: علي حسن علي عبد الحميد.
ب_تيسير مصطلح الحديث: محمود طحان.
15_أصول الفقه:
أ_الواضح في أصول الفقه: محمد سليمان الأشقر.
ب_هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان: محمد سلطان المعصومي.
16_شرح الأحاديث:
جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي.
17_مبادئ هدامة:
حركات ومذاهب في ميزان الإسلام: فتحي يكن.

18_دفاع عن السنة:
أ_منزلة السنة في الإسلام: محمد ناصر الدين الألباني.
ب_السنة في التشريع الإسلامي: محمد أمان الجامي.
19_الأدب:
تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي.
20_الملل والنحل:
دراسات في الفرق: صابر طعيمة.

المرحلة العلمية الثانية

1_العقيدة الإسلامية:
أ_الإيمان: محمد نعيم ياسين.
ب_العقيدة في الله: عمر سليمان الأشقر.
2_القرآن الكريم:
أ_لمحات في علوم القرآن: محمد الصباغ.
ب_الصحيح المسند من أسباب النزول: مقبل بن هادي الوادعي.
3_الحديث النبوي:
أ_صحيح الإمام البخاري.
ب_صحيح الإمام مسلم.

ج_سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني.
4_الأخلاق والسلوك:
أ_الفوائد: ابن قيم الجوزية.
ب_الوابل الصيب: ابن قيم الجوزية.

ج_الدعاء: حسين العوايشة.

5_السيرة:
أ_السيرة النبوية: الإمام الذهبي.
ب_نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد الخضري.
6_الفقه:
الروضة الندية: صديق حسن خان.
7_التفسير:
تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير الدمشقي.

8_فقه الدعوة:
أ_نحو منهج السلف: علي حسن علي عبد الحميد.
ب_سبيل الدعوة الإسلامية: محمد أمين المصري.
9_النحو والصرف:
الموجز في قواعد اللغة: سعيد الأفغاني.

10_مفردات اللغة:
المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية.

11_البدع:
السنن والمبتدعات: محمد عبد السلام الشقيري.

12_البلاغة:
علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي.
13_التاريخ:

أ_الشماريخ في علم التاريخ: الإمام السيوطي.
ب_دول الإسلام: الإمام الذهبي.
14_مصطلح الحديث:

أ_السنة قبل التدوين: محمد عجاج الخطيب.
ب_الباعث الحديث: أحمد شاكر.
15_أصول الفقه:
أ_تاريخ التشريع الإسلامي: محمد الخضري.
ب_الرسالة: الإمام الشافعي.
16_شرح الأحاديث:
بهجة النفوس "شرح مختصر البخاري" ابن أبي جمرة.
17_مبادئ هدامة:

الشيوعية منشأ ومسلكا: دندل جبر.
18_دفاع عن السنة:
أ_السنة مفتاح الجنة: خالد محمد علي الحاج.
ب_مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: الإمام السيوطي.
19_الأدب:
أدب الكاتب: ابن قتيبة.
20_الملل والنحل:
الفرق بين الفرق: عبد القاهر البغدادي.

***

المرحلة العلمية الثالثة

1_العقيدة الإسلامية:
أ_شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي.
ب_مختصر العلو للعلي الغفار: الذهبي /الألباني.
ج_مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن قيم الجوزية.

2_القرآن الكريم:
أ_البرهان في علوم القرآن: الزركشي.
ب_حجة القراءات: ابن زنجلة.

3_الحديث النبوي:

أ_جامع الأصول من أحاديث الرسول: ابن الأثير.
ب_إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني.
4_الأخلاق والسلوك:
مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية.
5_السيرة:
روض الأنف: السهيلي.
6_الفقه:
أ_المحلى: ابن حزم الأندلسي.
ب_نيل الأوطار: الشوكاني.
7_التفسير:
جامع البيان في تفسير القرآن: ابن جرير الطبري.

8_فقه الدعوة:
أ_أصول الدعوة عبد الكريم زيدان.
ب_طريق الدعوة إلى الإسلام: محمد أمان الجامي.
9_النحو والصرف:
جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني.
10_مفردات اللغة:
لسان العرب: للمنظور الإفريقي.
11_البدع:
الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي.
12_البلاغة:

أ_أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني.
ب_دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني.
13_التاريخ:
أ_مختصر في علوم التاريخ ([144]) : الكافيجي.
ب_البداية والنهاية: ابن كثير.
14_مصطلح الحديث:
أ_أصول التخريج ودراسة الأسانيد: محمود الطحان.
ب_دراسات في الحديث النبوي: محمد مصطفى الأعظمي.
ج_فتح المغيث في شرح ألفية الحديث: السخاوي.

15_أصول الفقه:
أ_الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي.
ب_الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الأندلسي.

16_شرح الأحاديث:
فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني.

17_مبادئ هدامة:

---

[144] وهو مطبوع ضمن كتاب "علم التاريخ عند المسلمين" تأليف: فرانز روزنثال, ترجمة صالح أحمد العلي, نشر مؤسسة الرسالة- بيروت.

أ_موقف الإسلام من نظرية ماركس: أحمد العوايشة.
ب_الإنسان بين المادية والإسلام: محمد قطب.

18_دفاع عن السنة:
أ_السنة ومكانتها في لتشريع الإسلامي: مصطفى

السباعي.
ب_المدخل إلى توثيق السنة: رفعت فوزي.
19_الأدب:
أ_تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي.
ب_البيان والتبيين: الجاحظ ([145]).
20_الملل والنحل:
الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي.

---

[145] وهو معتزلي المذهب, فينبغي الحذر من بدعته, مع الانتفاع ببراعته في الأدب.

ϑKΛ

((4))

مَعَ المتعلمين في مجالسهم

بعد أن عرفت يا أخي المسلم_وفقني الله وإياك لما يحب ويرضى_المنهاج الصحيح لطالب العلم في تحصيله, ثم أحوال العلماء في اجتهادهم وتحملهم المشاق في سبيل الوصول إلى الثمار المرجوة من هذا العلم, ثم المراحل التي ينبغي أن يسير عليها الطالب حتى يصل إلى مرتبة الفهم السديد, أحببت أن أتمم رسالتي هذه بفصل هام جدا في حياة طالب العلم, ألا وهو "أدب حضور مجالس العلم" ([146]), فأقول وبالله التوفيق:

●إذا حضرت مجلس علم, فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علما وأجرا لا حضور مستغن بما عندك, طالب عثرة تشنعها أو غريبة تشيعها, فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون في العلم أبدا.

---

146 من كلام الإمام ابن حزم الأندلسي التي تقدمت ترجمته برقم (117), وانظر"مجموعة رسائل ابن حزم" (411-413/1) .

فإذا حضرتها على هذه النية, فقد حصلت خيرا على كل حال, فإن لم تحضرها على هذه النية, فجلوسك في منزلك
أروح لبدنك, وأكرم لخِلقِك وأسلم لدينك.
●●فإذا حضرتها كما ذكرنا, فالتزم أحد ثلاثة أوجه, لا رابع لها, وهي:
أ_أما أن تسكت سكوت الجهال, فتحصل على أجر النية في المشاهدة, وعلى الثناء عليك بقلة الفضول, وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس.
ب_فإن لم تفعل فاسأل سؤال المتعلم فتحصل على هذه الأربع المحاسن وعلى خامسة, وهي: استزادة العلم.
وصفة سؤال المتعلم: هو أن تسأل عن ما لا تدري لا عن ما تدري فإن السؤال عما تدريه سخف, وقلة عقل, وشغل لكلامك, وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه, لا لك ولا لغيرك,
وربما أدى إلى اكتساب العداوات, وهو يعد عين الفضول.
فيجب عليك أن لا تكون فضوليا, فإنها صفة سوء, فإن أجابك الذي سألتَ بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام, فإن لم يجبك بما فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم فقل له: لم أفهم, واستزده, فإن لم يزدك بيانا, وسكت, أو أعاد عليك الكلام الأول, ولا مزيد, فأمسك عنه وإلا حصلت على الشر والعداوة, ولم تحصل على ما تريده من الزيادة.

ج_ والوجه الثالث أن تراجع مراجعة العالم, وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضا بينا, فإن لم يكن ذلك عندك, ولم يكن عندك إلا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة, فأمسك لأنك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر زائد ولا على تعليم, بل على الغيظ لك, ولخصمك, والعداوة التي ربما أدت إلى المضرات.

●●●وإياك وسؤال المعنت ومراجعة المكابر الذي يطلب الغلبة بغير علم, فهما خلقا سوء دليلان على قلة الدين, وكثرة الفضول, وضعف العقل وقوة السخف, وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ϑΚΛ

الخاتمة

يقول جامع هذا الكتاب, الفقير إلى ربه الوهاب, علي بن حسن بن علي: قد فرغت من ترتيب هذا الكتاب وتهذيبه والتعليق عليه على قدر طاقتي, في مجالس آخرها قرب منتصف ليل يوم الاثنين في الثالث عشر من شهر ربيع الثاني من العام الرابع بعد الأربع مئة والألف من هجرة النبي ρ, في مدينة الزرقاء من مدن الأردن, فإن أصبت فمن الله وحده, وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان, وأرجو ممن ينتفع بهذا الكتاب أن يذكرني بصالح دعواته في أحسن أوقاته, والله أسأل أن يغفر لي وله ولسائر المسلمين, ويجعلني وإياه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وهو أرحم الراحمين, وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.